رواية امينة

الفصل الثاني

الفصل الربيع والشمس مشرقة وقد اكتنفت اشعتها البيوت المقابلة لنا على الضفة الاخرى من البسفور كأنَّ نارًا اضطرمت في جوانبها . وتنفَّست الامواج بين الرصافة والجسر كأنها زفرات والدة ولهانة. وصفا اديم السماء حتى كنتُ ارى الثلج يكلِّل هامة جبل اولمبس. وانعكس النور عن برج البنات فتخاله بلورًا صافيًا . وقُرعت الاجراس في السفن الراسية امامنا دلالةً على اذان الظهر ورأيت البحارة يذهبون ويجيئون وانا واقفة امامهم كلي لا عمل لي ولا اشعر بهمَّة للعمل . وقد مضت ايام منذ توفيت جدتي نخفَّ ما كنتُ اشعر به من الحزن عليها والوحشة من الانتقال الى حالة لم آلفها. ولقيت من كل احد فوق ما انتظرت من الاكرام فان هانم افندي عاملتني مثل ابنتها والباشا كان ينظر اليَّ نظر الحنو والشفقة وبنتهُ وكنَّتهُ اظهرتا لي كل حب وتودُّد اما ابناءُ فادهم بك لم يكن يكلمني الاَّ نادرًا واذا كلمني فبوداعة ولطف ونافذ بك كان اكبر صديق لي من حين رآني في بيت جدتي ولم تفتر مودتهُ قط

وبينما انا جالسة امام البسفور وعيناي تجولان في ما امامي سمعتُ صوتًا يناديني قائلاً تقول لكِ امي لتأتي وتساعدي الجواري في كي الثياب لانها كثيرة وتخشى ان لا يتمكن كيَّها اليوم . فنهضتُ ومضيت الى الغرفة التي فيها الجواري حتى اذا بلغتُ بابها سمعتُ واحدًا يضحك فعرفت من هو وصبغتْ وجهي حمرة الخجل وكان الدم يصعد الى رأسي كلما سمعت صوتهُ وصار ذلك عادةً تتابعني وقد حاولتُ التغلُّب عليها بكل جهدي فلم استطع. كان نافذ بك هناك جالسًا على حافة الشباك وهو يمزح مع الجواري فلما دخلتُ قام ودنا مني وقال " ماذا اتى بك الى هنا نقد دخلتُ الرواق منذ خمس دقائق ورأيتك جالسةً فيهِ فلم اشأ ان ازعجكِ بل تركتك واتيتُ الى هنا. أأتيتِ لتكوي كلاًّ كلاًّ ". واخذَ المكواة من يدي وهو يقول "ألاَ ترين انها حامية جدًّا وقد كنتِ تشكين من الصداع هذا الصباح ". فنظرتُ اليهِ نظر الشكر وقلت نعم ولكن الصداع كان خفيفًا وقد زال الآن. فقال كيفما كان الحال فالوقوف امام النار يضرُّكِ تعالي الى البستان وانظري ما اجمل هذا النهار. فقلتُ اني لا استطيع ذلك لان هانم افندي ارسلتني الى هنا لاساعد البنات. ولما قلت ذلك ردَّ اليَّ المكواة ودار الى الشباك وهو يصفر والتفتُّ اليهِ فوقعت عيني على عينهِ وللحال صبغت وجهي حمرة الخجل واضطررت ان انحني فوق سل الثياب كأني افتش عن قطعة اخرجها لاكويها والحقيقة اني كنت اريد ان استر وجهي . وسمعت حينئذٍ

واحدة تقول لعنة الله على هذه المكاوي ورمت المكواة من يدها فاخطأت رأسي قليلاً . ورأيتُ ان التي فعلت ذلك هي بوار وكان الشرر يتطاير من عينيها ونهض نافذ بك مسرعاً وقال لها أجُنِنتِ ما هذا الفعل يا بوار . فرشقتهُ بعينيها ودارت الى النار ولم تفهُ بكلمة . ووقفتُ انا حيرى لا اعلم سبب غيظها ولا معنى ما يتغامز به الجواري حولي . والظاهر ان نافذ بك حار في امره ايضاً فمشى اولاً نحوها ثم عاد اليَّ وقال لي هل اصابتكِ فقلت كلاَّ فقال أمتأكدة انت فقلت ومن ادرى مني بنفسي . فتبسم على جاري عادته وقال خفتُ ان تخفي ذلك لكي تدافعي عنها . فقلت انها لم تفعل هذا عمداً . فلم يجب بشيء بل اتكأ على طرف المائدة التي كنا نكوي عليها والتفتَ اليَّ بعد بضع دقائق وقال لقد ترقَّيتُ ولم تهنئيني واخذتُ وظيفة جديدة في السر عسكرية . فقلت لهُ ولم استطع ان اخفي سروري ان هذا الخبر يسر هانم افندي لانها كانت تودُّ ذلك كثيراً . وقالت شيستا وكانت واقفة أمامي "وهو يسرُّنا كلنا وسنبقى هنا يابك افندي فقال نعم وهذا بفضل ابي فانَّ مَن لهُ اب مثلهُ تأتيهِ المناصب عفواً من غير تعب . ولا بدَّ من ان كثيرين كانوا ينتظرون هذا المنصب وهم احقُّ بهِ مني وقد انتظروهُ سنين كثيرة فنلتهُ انا على غير استحقاق . فنظرتُ اليهِ لما قال ذلك وعندي انهُ ليس في العسكرية كلها مَن هو احق منهُ بالمناصب العالية فرأيتهُ ينظر اليَّ وقال لي ارى انكِ توافقينني على ما قلتُ نعم اني كسلان ولا اصلح لشيء ولكن لو رفضت هذا المنصب بدعوى اني غير اهل لهُ لعدَّ الناس ذلك مني تصنُّعاً وتظاهراً بالضعة . فاعترضتهُ قائلة اني لم اعنِ ذلك ولا خطر ببالي هذا الخاطر . فقال اذاً ماذا تعنين فانكِ نظرتِ اليَّ نظر المستحسن لكلامي فاخبريني ماذا كان يدور في بالكِ حينئذٍ . فبقيت صامتة وقالت لهُ كنجه جارية ادهم بك اليك عن البحث بك افندي ولا ادري كيف نقدر ان نتم شغلنا وانت واقف هنا

فقال مَن يمنعكِ عن الشغل والشغل لا يمنع الكلام . ثم دنا مني وكلمني بصوت منخفض قائلاً قولي لي ما هو فكركِ فيَّ . وللحال شعرت بواحدة مرَّت بجانبي فالتفت واذا بوار قد خرجت من الغرفة والحنق على عينيها ودفعت الباب وراءها حتى كادت تكسرهُ . فوقفتُ حيرى لا ادرى سبب غيظها مني وقلتُ في نفسي تُرَى ماذا فعلتُ حتى غضبتْ عليَّ وباي شيء اسأتُ اليها وقد كانت تعزني كثيراً في حياة جدتي . ولمس نافذ بك يدي وقال لي بماذا انتِ تفكرين بوار سريعة الغضب والظاهر ان هذا اليوم من ايام بؤسها ونحن قد اعتدنا ان نرى ذلك منها اما انتِ فلم تعتادي ولكني ورأس ابي لا ادعها تنشَّ خلقها فيكِ

فقلت على مَ تنشُّ خلقها فيَّ وما هو ذنبي عندها .

فقال لا ذنب . ثم اخرج ساعتهُ من جيبهِ وقال صارت الساعة واحدة ولا بدَّ من ذهابي الآن . اشتغلنَ يا بنات وما عدتُ ازعجكنَّ . ولم يكد يخرج من الباب حتى اغرب الجواري في الضحك

وقالت ماهور وهي جارية متقدمة في السن لها في بيت الباشا عشرون سنة يا مسكينة اني اشفق عليها . فقالت لها كنجه اما انا فلا اشفق عليها واخاف انها تؤذي هذه البنت المسكينة . فقالت مريم جارية وحيدة هانم مَن هي البنت المسكينة ثم نظرت اليَّ وقالت لا اظن انها جنَّت الى هذا الحد . وقالت بندزار وهي خزندار السراي لقد أخطأ نافذ بك الى بوار وكان يجب عليهِ ان يتزوجها بعد ان انتظرتهُ هذه السنين . فاجابتها مريم قائلة كيف تقولين انها انتظرتهُ فانهم اشتروها تحت التجربة لان نافذ بك قال مرةً انهُ يفضل ان يتزوج جركسية وقال لامهِ انها جميلة ولكنهُ لا يقرر فكرهُ حتى يعود من الاناطول وقد عاد الآن فلم تعجبهُ وهي جارية مثلنا ويجب ان تشتغل شغل الجواري وانا اكره كل مَن تتخطى حدودها

فانجلى لي الامر قليلاً وقلت لها أعن بوار تتكلمين . فقالت مريم نعم أما بلغكِ ذلك قبل الآن فقلت كلاَّ ولم اسمع انهم اشتروها لنافذ بك . فقالت شيستا نعم اشتروها لهُ وقد مضى عليها الآن خمس سنوات وهي تتعلم لتصير هانمًا ولكن خاب املها . ووضعت كنجه اصبعها على فمها وطلبت منا ان نسكت لان بوار آتية . ودخلت بوار حينئذٍ وصمت الجواري فنظرت اليها مشفقة عليها لانهُ لا اصعب من الفشل بعد الامل . وكانت ثورة الغضب قد خمدت لكن كان في عينيها ما يحذر الجواري من الكلام معها فاخذت تكوي الثياب الى ان فرغت وهي لا تفوه بكلمة والجواري حولها يتكلمنَ همسًا ويتغامزنَ ثم اخذت ثياب نافذ بك وخرجت وحملتُ انا وكنجه السلِ الذي فيهِ ثياب ولية هانم واخذناهُ وصعدنا بهِ الى غرفتها ورتبنا الثياب في الخزائن وكنا نعمل صامتتين ثم قالت لي كنجه ياليت نافذ بك يتركك وشأنكِ . فقلت لها ماذا تعنين وعلت وجهي حمرة الخجل . فقالت لا شيء لانني اعلم انهُ انما يمزح معكِ فانكِ ابنة مربيتهِ وقد رآكِ يتيمة فشفق عليكِ وهذا شيء معقول لكن بوار غارت منكِ ولا سيما بعد ان خاب املها . فقلت لها لماذا تغار مني أتظنين انها تحسب نافذ بك يفضلني عليها . فقالت نعم هذا الذي أظنهُ ولا ادري كيف دخل هذا الفكر رأسها ولكن دعينا من هذا الموضوع الآن وهلمَّ ننزل . فنزلت معها وانا افكر في كلامها وفي ما رأيتهُ من نافذ بك فانهُ كان ينظر اليَّ نظر مَن يهمهُ امري ويتكلم معي ويمزح علي غير ما يفعلهُ مع بقية الجواري وكنت اعلم ذلك منهُ واسرُّ بهِ ولكنني لم اكن افسرهُ الاَّ بانهُ يشفق عليَّ ويعاملني باللطف لان اللطف من طبعهِ . وحتى

تلك الساعة لم اكن اظن انهُ يعني غير ذلك . وحاولت ان انسى ما رأيتهُ من بوار فلم استطع واخذ فؤادي يخفق مع ان عقلي كان يقول لي ان ظنونها في غير محلها . واخيرًا اخذتُ عودًا بيدي وخرجت الى الحديقة وحاولت اللعب عليهِ لانني كنت قد شرعت اتعلم اللعب على العود فوقع من يدي وغصت في بحار الافكار واتضح لي حينئذٍ ان نافذ بك كان يظهر من الاهتمام بامري ما يحمل على الظن بان ذلك غير ناتج عن مجرد الشفقة عليَّ . وتذكَّرتُ حينئذٍ شدَّة ميلهِ اليَّ واعتنائهِ بي ولما فكرتُ في كيف تنظر بوار الى ذلك صعد الدم الى رأسي فكاد يشعل وجنتيَّ . وحتى تلك الساعة كنتُ امرًا بما اراهُ منهُ من غير ان اقدّر لهُ معنًى اما وقد رأيت ما رأيت من بوار وسمعت ما سمعت عنها فداخلني ريب في نفسي وقلت قد يكون قاصدًا شيئًا آخر ولكن يستحيل عليهِ ان يفكّر بالاقتران بي. وحاولت قرع الاوتار بانامل فلم استطع وللحال انفتح باب الحديقة من ورائي ودخل نافذ بك وهو يتبسم وجلس بجانبي واتكأ على العشب وقال لي ماذا تفعلين هنا أتلعبين على العود . هذا احسن من كي الثياب ولقد احسنتِ بالمجيء الى هنا قبلما تتعبين

فقلت " اتممنا كي الثياب كلها " . وهذه اول مرة شعرت فيها باني اكره ان اقيم معهُ وحدنا . اما هو فلم يكن فكرهُ مثل فكري على ما يظهر لانهُ قطع غصنًا من الريحان وجعل يلعب بهِ ثم قال لي اصمعي يا امينة لا اريد ان اراكِ تشتغلين مع هؤلاء الجواري لانكِ لستِ جارية واظن انهُ لا بدَّ من ان اخبر امي بذلكِ . فقلتُ لهُ كلاَّ كلاَّ لا تخبرها لانيَ احبُّ الشغل ولو كنتَ تعلم مقدار فضل امك عليَّ ومقدار ما اشعر بهِ من الشكر لها ومقدار رغبتي في مرضاتها لعلمتَ انني مستعدة ان افعل كل ما تطلبهُ مني مهما كان شاقًّا . فتبسم وقال اذًا لا اخبرها ولكن انتِ عديني بان لا تتعبي نفسكِ لانني لا اراكِ قويةً قادرة على الشغل الشاق فقلتُ كلاَّ بل انا قوية ولو كنت تراني نحيفة صفراء ولم امرض في حياتي

فلم يجبني بل وضع عرق الريحان امام انفي وقال لي ما معنى الريحان في لغة المحبة . فاضطربت لما قال لي ذلك وقلتُ لا اعلم هذه اللغة ونهضتُ لاذهب فقال لماذا تذهبين ماعدتُ اكلمكِ في ذلك ابقي هنا فان المكان جميل جدًّا وانت محتاجة الى الراحة اجلسي وامسك بيدي واضطرني الى الجلوس واخذ كتاب الموسيقى مني ونظر الى اللحن الذي كان مفتوحًا عندهُ وقال لي هل تعلمتِ هذا اللحن فقلتُ اني آخذة في تعلمهِ . وخطرت ببالي بوار حينئذٍ وخفتُ ان تأتي وتراني كذلك ولم ارَ من اللياقة ان اقوم واتركهُ غضبًا عنهُ . ثم قال العبيهِ امامي لارى كيف تلعبينهُ فمسكت العود واخذتُ العب وللحال انقطع وتر من اوتارهِ فاخذهُ مني ليصلحهُ

وقال لي انكِ لا تتكلمين عن الحب ولكنكِ تغنين بهِ فكيف ذلك . فقلتُ اذًا لا اغني . فقال كلاَّ كلاَّ وقد رجعتُ عن قولي ها قد اصلحت الوتر فدوزنيهِ لانني انا لا اقدر ان العب على عود دونهُ غيري . فاخذت العود من يدهِ ونهض هو ووقف امامي وقد احنى رأسهُ ناظرًا اليَّ فصعد الدم الى وجهي لان عينيهِ كانتا مملوءتين بدلائل الحب والشفقة وبينما انا ادوزن العود انفتح باب الحديقة ودخل ادهم بك ولما وقع نظري عليهِ نهضتُ على قدميَّ اجلالاً لهُ وزاد اضطرابي لانني شعرت ان حمرة الخجل صبغت وجهي وعنقي

ونظر ادهم بك الى نافذ بك وقال لهُ لماذا لم تبقَ في السلاملك فان ابي ليس هنا وقد اقمت مع يوسف باشا اكثر من ساعة وانا مشغول جدًّا

فقال نافذ بك ان مسايرة يوسف باشا تزهق الروح ولكن لو عرفتُ انك مشغول لجلست معهُ . والحق اقول لك انني اتيت الى هنا هربًا منهُ وانت اكثر مني صبرًا

فاجابهُ ادهم بك لستُ اكثر صبرًا ولكني اقل حيًّا لنفسي وانت تعلم اني مشغول وكان يمكنك ان تأتي وتقوم مقامي وذلك خير لك من قيامك هنا

وقد اندهشت انا ونافذ بك من كلام ادهم بك لاننا لم نعهد منهُ مثل ذلك . وقال لهُ نافذ بك ان كان كلام يوسف باشا يغيظني كما اغاظك فقد احسنتُ بهربي منهُ . فلم يجبهُ بشيء بل دار وجههُ وسار نحو البيت . واخذ نافذ بك بيدي وقال لي هلمَّ نذهب نحن ايضًا فاطاعت امرهُ وانا مضطربة مشغولة البال كمن اقترف ذنبًا كبيرًا ولكنهُ وقف ولم يمشِ ونظر الى البحر وكانت الشمس قد مالت الى المغيب ونزلت وراء الآكام فاشرت اليها لكنهُ هزَّ كتفيهِ وقال لي لاشغل لكِ فلماذا انتِ مستعجلة ثم تقدَّم الى السور الذي يفصل بين الحديقة والرصافة وازاح اغصان الياسمين المشتبكة بين درابزينهِ وقال لي هلمَّ ننظر الى البحر وكانت لا يزال ماسكًا يدي بيدهِ فوقفت بجانبهِ مكرهة وانا اودُّ ان يتركني لاعود الى البيت . فنظر الى البحر قليلاً ثم قال هوذا ابي فنظرتُ واذا قائق نصر الله باشا يخر البحر مسرعًا فقلت لهُ ألست ذاهبًا لتلاقي اباك . فقال ضاحكًا ما اشد رغبتك في البعد عني كلاَّ لست ذاهبًا لملاقاتهِ . فوقفت صامتة لا ادري ما اقول اما هو فقال لي ما جرى لك يا امينة حتى اراكِ متغيرة عليَّ . فنظرت اليهِ متعجبة وقلتُ ماذا تعني يا مولاي . فقال اراكِ منزعجة من وقوفي معكِ هل قال لكِ احد شيئًا فانكِ لم تكوني كذلك قبلاً . فلم اجبهُ ولكن صعد الدم الى وجهي وصرت أتمنى ان تشتدَّ الظلمة لكي لا يراني . اما هو فنظر في وجهي مليًّا وقال لا بدَّ من ان يكونوا قد قالوا لكِ شيئًا فاخبريني ماذا قالوا لكِ . وكان يتكلم بلهجة الغيظ ولكنني

لم أُجبهُ ولا رأيت ان اخبرهُ شيئًا عن بوار ثم خطر لي ان كل من يرانا حينئذٍ على تلك الصورة يظن ما ظنتهُ بوار فحاولت نزع يدي من يدهِ ولكني لم استطع فقلتُ دعني اذهب قبل ان تسأل عني هانم افندي . فقال دعيها تسأل لا اتركك قبل ان تخبريني ما قالتهُ لكِ بوار. فسررت لان الموضوع تحوَّل على هذه الصورة وقلت لهُ لم تقل لي شيئًا وما عساها ان تقول وانا اشفق عليها

فقال على مَ تشفقين عليها وماذا جرى لها

فلم اجبهُ ووددت ان اخلق من وجههِ لكي لا اجيبهُ على هذا السؤال لكنهُ لم يُعِدْهُ بل قال الحق في يدك يجب ان تمضي لكنهُ لم يترك يدي . فقلت لهُ كيف امضي وانت لا تتركني. قلت ذلك ونظرت في وجههِ فرأيتهُ ينظر اليَّ وقبل ان افهم مرادهُ انحنى وقبَّل وجهي وللحال سمعنا صوت ادهم بك يناديهِ ويقول ابي على المائدة وانت تعلم انهُ يكره الانتظار افلا تريد ان تتعشى. فترك يدي واسرع نحو اخيهِ واتكأت انا على السور وقد غطيتُ وجهي بيدي وكدت اذوب خجلاً من نفسي . وقلت كيف يتجاسر على ذلك وانا لست جارية من جواريهِ ولا بدَّ من ان اكون قد جرَّأتهُ على هذا العمل والاَّ ما تجاسر عليهِ . ثم راجعتُ نفسي فرأيت انني لم افعل شيئًا كان يمكن ان لا افعلهُ ولم يكن في طاقتي ان اتخلَّص منهُ من غير ان اخلَّ بشروط الحشمة والاكرام لهُ كابن للسيدة التي انا مستظلَّة بظلها . واخيرًا آليتُ على نفسي ان لا اقابلهُ ابدًا الاَّ في حضرة امهِ حيث لا يستطيع ان يتطاول عليَّ مهما كان شأنهُ

ومضيت تلك الليلة الى الغرفة التي يجلس فيها سيدات البيت وجلست بجانب هانم افندي وكانت ولية هانم تخيط ثيابًا لابنتها فساعدتها فيها . ثم سمعنا صوتَ الاولاد في الرواق فقالت وحيدة هانم لقد تعشَّى ابي وقام عسى ان يأتوا حالاً لاكلم ادهم فيقنع ابي بارسال جودت الى مدرسة في باريس

فقالت هانم افندي انا لا استصوب هذا الرأي ولا استحسن ان يرسل الاولاد الى مدارس الكفار وهم صغار فيضيعوا دينهم وان كان ادهم يريد ان يبقى ابنكِ هنا فليس من الصواب ان تقنعهُ بارسالهِ الى باريس

ولم اسمع جواب وليَّة هانم وللحال انفتح الباب ودخل نصرالله باشا وصهرهُ علي بك زوج وحيدة هانم والتفتا الينا وقالا اين ادهم ونافذ فانهما تركانا منذ ربع ساعة ودنت وليَّة من نصرالله باشا وقبلت يدهُ وهي تقول لم يأتيا الى هنا ولا اعلم اين ذهبا وما من احد يسلينا في السهرات غيرهما. فضحك علي بك وقال لها أصرنا عندكِ صفرًا ولكن هوذا ادهم بك تعالى

يا اخي فان زوجتك كانت تشكو الآن من غيابك وتقول ان لا احد يسلّي غيرك

ونظرتُ الى ادهم بك خجلة لانني كنت اخاف ان يكون قد رآنا في البستان ووقفت لهُ اكرامًا لما دنا مني فوضع يدهُ على كتفي وطلب مني ان اجلس في مكاني وقال لعلي بك لقد اخطأت فان حضوري وغيابي سيان عند السيدات ولكنهنَّ افتقدن نافذًا . فضحكت ولية هانم وقالت لزوجها ما ذلك الاَّ لانك لا تجتهد لتجعلنا نفتقدك في غيابك اما نافذ بك فانهُ يسلينا كلنا . فتبسَّم ادهم بك وقال وهذا لا يغيظني لانني مهما اجتهدت لا يمكنني ان اقوم مقامهُ . فلم تجبهُ وكنت اراها تخجل دائمًا كلما تكلمت معهُ . ودار الحديث على مواضيع شتَّى ثم جاء نافذ بك ورأيتهُ عابسًا على غير عادتهِ ودنا من امهِ وقبَّلها ثم عاد ووقف بجانب ابيهِ وقال لهُ هل قرأت الجرائد افندم او اقرأها لك . فنظر اليهِ ابوهُ نظر الدهشة لانهُ لم يعتدْ منهُ ذلك وقال لهُ مالك وللجرائد اذهب سامر البنات . فجلس في مكانهِ وكان يحاول ان لا تقع عينهُ عليَّ ثم قال لابيهِ لقد عزمت الآن ان اعقل سمعتك امس تذكر حسابًا تريد ان يراجعهُ احد لك فدعني اراجعهُ . فقال ابوهُ اذا كان الامر كذلك فالدفاتر في مكتبتي . فنهض واتى بها وراجع الحسابات الى ان اتمها ثم نظر الى ساعتهِ وقال صارت الساعة العاشرة فاذهبُ الآن وامشي قليلاً على الرصيف الى وقت النوم ثم ودَّعنا وخرج

فقالت ولية هانم بعد خروجهِ ماذا جرى لنافذ بك فاني اراهُ متغيرًا قالت ذلك ناظرةً الى نصرالله باشا . فضحك وهزَّ كتفيهِ وقال لا ادري وان كان مغتاظًا من احد فلا يكون مني لانك رأيت كيف عرض خدمتهُ عليَّ فلا بدَّ ان يكون السبب من غيري . فقالت ولية هانم على كل حال ليس السبب مني لانني لم اخالف معهُ في حياتي . فقال علي بك يا بختهُ وياليتني كنت مثلهُ

وقت حينئذٍ لامضي الى غرفتي لانني كنت اشعر بشيء من التعب ودنوت من الباشا وقبلت يدهُ فوضع يدهُ على كتفي ونظر في وجهي وقال لماذا انتِ محمرَّة بهذا المقدار ماجرى لكِ . فزاد خجلي وادرت وجهي وانا اتمنى ان لا يراني احد فوقعت عيني على عين ادهم بك فرأيتهُ ينظر اليَّ نظر الاهتمام لكنهُ لم يقل شيئًا . فخرجت ومضيت الى غرفتي

الفصل الثالث

ولم يحضر نافذ بك في اليوم التالي وقال لنا علي بك انهُ تغدَّى في المدينة وسيقضي المساء هناك . ثم صار هذا دأبهُ فلم نعد نراهُ في دار الحريم الاَّ نادرًا فكان يقضي نهارهُ في السر عسكرية ويتعشى خارجًا واذا تعشى في البيت خرج بعد العشاء ومضى الى بيرا . وكانت اختهُ

وامرأة اخيهِ تشكوان من ذلك وقالت امرأة اخيهِ ان اللوم كلهُ على بلاد الاناطول لانها غيرت طبعهُ وجعلتهُ مثل زوجها

ثم صرنا نسمع عنهُ قصصاً غريبة وقالت لي كنجه ان ادهم بك اخبر امهُ بان نافذ بك يعاشر اناساً يشلمون صيتهُ. ثم سمعنا انهُ صار يقامر وخسر اموالاً كثيرة وهذا الخبر اخبرتني اياهُ شيستا وقالت انها سمعتهُ من ادهم بك وعلي بك. فساءني هذا الخبر جداً وقلت في نفسي تُرى ما يقول الباشا عنهُ. وفي اليوم الذي سمعتهُ فيهِ كنت واقفةً امام الشباك فرأيت قايقهُ آتياً بهِ وكانت مريم بجانبي فقالت لي هذا نافذ بك وقد امر الباشا ان يُرسل اليهِ حالما يحضر. فقلت لها اين الباشا الآن فقالت في السلاملك

ولم اعد اسمع عنهُ شيئاً ذلك اليوم لاننا لم نسمع في دار الحريم عمَّا دار بينهُ وبين أبيهِ في السلاملك. ولكني رأيت ادهم بك في المساء فاذا هو عابس الوجه اكثر من ذي قبل. ولم يكتب على جاري عادتهِ بل اخذ كتاباً وجلس امام الشباك كأنهُ يريد القراءة مع انهُ كان بعيداً عن النور فلا يستطيع ان يرى ليقرأ. وكذلك نصر الله باشا بقي صامتاً اكثر الوقت وكان بيدهِ صحيفة من صحف الاخبار تغطي وجههُ عنا. ومرَّ المساء وكل احد صامت عبوس حتى ولية هانم جلست تنقر على قيثارها كأنها لا تقصد اللعب بل التسلية. اما هانم افندي فجلست على ديوانها على جاري عادتها وهو اشبه بعرش ملكي منهُ بديوان بسيط وسيكارتها في يدها الواحدة والسبحة في يدها الاخرى. وجلست بجانبها على طرَّاحة وامامي مصباح وكنت اطرّز لها لحافاً من الحرير بخيوط القصب كانت عازمة ان ترسلهُ الى ابنتها وكنت اراها تنظر الى ادهم بك من وقت الى آخر نظر الاهتمام. وفيما نحن كذلك سمعنا واحداً يضحك في الدار فعرفنا كلنا انهُ نافذ بك وللحال دخل وتقدَّم الى امهِ وقبَّل يدها ووجهها على جاري عادتهِ ثم جلس بجانب ابيهِ والتفت اليهِ بعد قليل وقال لهُ صدر الامر لبعض الضباط من فرقتي بالذهاب الى اليمن حالاً ولم يمضِ علينا خمسة اشهر من حين اتينا من الاناطول فهل ذلك من العدل

فقال نصر الله باشا اما انت فلا تخف فانك ما دمت في اركان الحرب فلا يرسلونك. فقال ولكن اذا ساعدتني يرسلونني. فنظر اليهِ ابوهُ مستغرباً وقال اتريد ان تمضي الى اليمن. وللحال تركت ولية القيثار وقالت هذا شيء لا يصير نينا[1] بك افندي وحيدة قولوا كلمة فقد مضى شهران وهو يكدّرنا والآن يريد ان يذهب الى اليمن

فقالت هانم افندي هذا شيء لا يصير وكيف تمضي الى اليمن وانت تعلم ان هواءها اردأ

(1) هذا نداء لخالتها وزوجها وابنة عمها ومعنى نينا أم

هواء في كل السلطنة والآن فصل الصيف حين تفشو الكوليرا فيها فلماذا تريد ان تذهب اليها

فقال نصر الله باشا الذهاب اليها خير من المقامرة ولكنهُ اذا كان لا يريد ان يذهب فلا ارسلهُ غصباً عنهُ

ونظرتُ انا الى نافذ بك فرأيتهُ جالساً ويدهُ تحجب وجههُ عني وكنت اودُّ ان لا يذهب ولكن لم يكن لي صوت في الجماعة . وقامت هانم افندي وتقدمت من زوجها وقالت لهُ لا يمكن ان اسلم بذهابهِ وانت تعلم ما حلَّ بي مدة غيابهِ في الاناطول فكيف يكون حالي اذا ذهب الى اليمن فلا يقسُ قلبك عليهِ لانهُ مهما كان ذنبهُ فهو لا يستدعي ارسالهُ الى حيث تكون منيتهُ

فقال لها نافذ بك ولكن انا نفسي اريد الذهاب الى اليمن وانا الذي طلب منهُ ان يسعى لي في الذهاب اليها أليس الامر كذلك يا بي . فهزَّ نصر الله باشا كتفيهِ وقال لا اريد ان اكون مسؤولاً امام امك . نعم انهُ ليس هناك اقل خطر ولكن الهواء قد لا يناسبك ولا اريد ان يقع اللوم كلهُ عليَّ

فوقف نافذ بك بجانب امهِ ووضع رأسهُ على كتفها وقال صدقيني يا امَّاه انهُ ليس هناك اقل خطر او اقل شيء يشغل البال وقد ذهب ثلاثة من رفاقي وعادوا بالامس وقالوا ان الحر محتمل جداً . وهي اربعة اشهر فقط اسمعي ما يقال في الجريدة وفتح الجريدة ليقرأ لها فخطفتها من يدهِ وقالت لهُ لا اريد ان اسمع ولا اريد ان تفقد مركزك في السر عسكرية بقلة العقل. فتبسم نصر الله باشا وقال لابنهِ اليك عن هذا الموضوع فان امك لا تسلم ابداً ولم يخطر ببالي قط انك لا تستطيع ان تقاوم التجربة الاَّ بالهرب منها الى اقاصي الارض

فقالت هانم افندي ما هي هذه التجربة . واحمرَّ وجه نافذ بك ونظر الى اخيهِ نظر من يطلب منهُ كتم امرهِ

فقال نصر الله باشا الدوران في بيرا وترك وليَّة في البيت تقلق رأسنا بالسؤال عنهُ. هات رقعة الشطرنج يانافذ وتعال نلعب دقَّا

وكانت رقعة الشطرنج وراء ادهم بك فلما ذهب نافذ بك ليأتي بها رأيتهُ همس في اذنهِ شيئاً فاجابهُ ادهم بك ببز كتفيهِ ولما عاد بالرقعة قال لامرأة اخيهِ تعالي ياولية والعبي لنا شيئاً ووحيدة تغني لانهُ يجب ان تسلوني قليلاً اذا اردتم ان ابقى في البيت. ثم بسط رقعة الشطرنج ورتب البيادق عليها وجعل يلعب مع ابيهِ واخذت ولية تقفز على القيثار ووحيدة تغني وكنت اقول في نفسي ترى ما جرى لنافذ بك ولماذا يريد ان يترك بيت ابيهِ . ولم يمضِ الاَّ ربع ساعة حتى دفع نصر الله باشا رقعة الشطرنج من امامهِ وقال لكنتهِ وبنتهِ انكما تغنيان غصباً

عنكما ونافذ يلعب من غير عقل . قوموا نادوا البنات ليأتوا ويرقصوا لنا قليلاً وانتِ يا امينة قومي والبسي وشاركي البنات في الرقص . فقمت اطاعةً لامرهِ وخرجت من الغرفة فتبعني نافذ بك ونادى بوار وقال لها قولي للبنات ان ابي يريدهنَّ ان يأتين ويرقصنَ ثم التفت اليَّ وقال لي أأنتِ ايضاً آتية لترقصي . فقلت لهُ نعم ألم تسمع ما قال الباشا . فقال ما اتى بي الى هنا يا ليتني بقيت في الاناطول الى ما بعد زواجك . فلم اشأ ان افكر في معنى كلامهِ بل قلت لهُ حالاً على كل حال انا مسرورة لانك غير ذاهب الى اليمن . فابرقت اسرَّتهُ وقال أصحيح ذلك أكان ذهابي يسوءك . فقلت يسوءهُ كل احد بلا شك . وقد استاءت ولية هانم جدًّا لانك غبت هذه الايام

فقال وانتِ أكنتِ تودين ان لا اغيب وهل سألتِ نفسكِ عن سبب غيابي . ولم تكن لي فرصة لاجيبهُ لان الباب انفتح حينئذٍ وخرج ادهم بك ونظر الى اخيهِ نظر الغيظ فعاد نافذ بك الى الغرفة وصعد ادهم بك الى الطبقة العليا وتبعتهُ ومضيت الى غرفتي لاغير ثيابي . وكان كلام نافذ بك لا يزال يرنُّ في اذنيَّ ولم تبقَ عندي شبهة في انهُ يميل اليَّ ولكني قلت في نفسي انهُ خاطر خطر لهُ ويزول من نفسهِ سريعاً لانهُ يستحيل ان يحبني وانا دونهُ بمراحل ولم ارَ شيئاً صريحاً في كلامهِ يدلُّ على حبهِ لي . ثم عدتُ الى نفسي فرأيت انني كنتُ كاسفة البال النهار كلهُ ولما قال انهُ عازم على الذهاب الى اليمن شعرت كأن حجرًا ثقيلاً ارتمى عليَّ حتى ضاق صدري . فقلت ترى لو كان الكلام على ذهاب ادهم بك اكنت اشعر بما شعرت بهِ واتضح لي حينئذٍ ما لا استطيع انكارهُ وهو انني احب نافذ بك سواء كان يحبني او لم يكن يحبني . ولما تمثلت هذه الحقيقة امام عينيَّ غطيت وجهي بيديَّ واخذت ابكي من كبد حرَّى لانني خجلت من نفسي لكثرة ما كنت اسمع من التكلم بالازدراء على من تُتهَم بحب رجل حتى ان الزوجة لا تستحلُّ ان تقول انها تحب زوجها فكيف شأن البنت التي مثلي . ثم عدت ابرِّر نفسي وقلت هذا ليس حبًّا بل هو شعور بالشكر لهُ ولعائلتهِ على اعتنائهم بي ولكني لم اقتنع بذلك وظهر لي اني فتحت للحب قلبي فتملك مني فعدتُ ألوم نفسي وقلت ماذا تقول النساء عني اذا عرفنَ امري وكأني رأيتهنَّ امامي ينظرنَ اليَّ شزرًا ويزدرينني وللحال سمعت نقر آلات الغناء وكنت اودُّ ان ابقى حيث انا ولكنني لم اتجاسر على مخالفة امر الباشا فقمت ولبست حالاً ونزلت فرأيت المغنيات جالسات في طرف الغرفة والراقصات يرقصنَ في وسطها وبوار واقفة ترقص وحدها . وكنت احسبها من اجمل النساء ولكني لم أرَ من جمالها الرائع مقدار ما رأيت حينئذٍ فانها كانت لابسة قميصاً من الملس الرقيق وعلى خصرها شال

من الكشمير يتدلى على سراويل من المخمل وشعرها مسدول على كتفيها يكاد يصل الى قدميها وهي ترقص رقصاً بديعاً وتتحرك حركات فتانة حتى كدت احسدها على ما هي فيه ولكن هذا الخاطر لم يخامر نفسي حتى زال منها حالاً. وكان نصر الله باشا جالساً على الديوان بجانب زوجته وادهم بك واقفاً متكئاً على كرسي ولية هانم. ووحيدة جالسة تلاعب ابنها وزوجها واقفاً يتكلم مع ادهم بك بقرب الشباك فلما دخلت قال لي نافذ بك ما اطول ما غبت فقد ظننا انك عدلت عن المجيء. واشار اليّ نصر الله باشا لارقص مع بوار فدنوتُ منها ورقصنا قليلاً وانا خجلة من نفسي ثم مسكت الدف لادور على الحاضرين واجمع منهم الجبوة على جاري العادة فشعرت كأن ناراً في وجهي. ورأت هانم افندي مني ذلك فقالت لي مالكِ يا امينة فهل تعبتِ من الرقص فحاولتُ مجاوبتها ولم استطع وادنيت الدف من ادهم بك فرمى فيه جنيهاً من غير ان ينظر اليّ ودنوتُ من علي بك فقال يظهر لي انكِ تخجلين من الاستعطاء يا بنتي فعسى ان لا تفعلي ذلك الاّ في اللعب. فضحكت وكنت اشعر بمودّة علي بك لي واراهُ دائماً بشوش الوجه معي من حين رأيتهُ اول مرة وقلت لهُ اني لا اخجل من الاستعطاء منك لاني عالمة انك لا تعطيني شيئاً. فقال اخطأتِ اخطأتِ خذي ليس معي غير هذا الجنيه ولكن لا تدّعي بوار تأتي الى هنا قولي لي لماذا اراها مقلوبة الوجه اليوم. فالتفتُّ اليها فرأيتها تنظر اليّ شزراً فقلت في نفسي لعلها تغار ايضاً مني لان علي بك يكلمني ودرت الى نافذ بك فرأيتهُ هو ايضاً ينظر اليّ فزاد خجلي وادرت وجهي حالاً فقلت لعلي بك لا ادري سبب غيظها ولكن انظر ما اجملها: فقال جميلة او غير جميلة انا لا اطيقها ويا ليتَ نافذ بك ان تزوّج بها. فقلت لهُ اظن انهُ يتزوّج بها فقال لا اعلم ولا هو يعلم علي ما يظهر لي. كانت تعجبهُ قبل ذهابه الى الاناطول وقد صمم نيتهُ على ان لا يتزوج واحدةً لم يرَها ولذلك لا يقدر ان يتزوّج الاّ جارية. ثم قال انظري فقد عيل صبر البنات امرعي حالاً واعطينّ الدراهم والاّ ظننّ انك عازمة ان تأخذيها فدرت اليهنّ وخرجنا كلنا من الغرفة وصعدت الى غرفتي وانا اسأل نفسي مرةً بعد مرة تُرى هل ما اراهُ من نافذ بك هو حبٌّ لي او انهُ يعاملني كما عامل بوار

وايقظتني الجواري في اليوم التالي باكراً لتمضي الى المصيف ونتظفهُ لان نصر الله باشا كان عازماً على الانتقال اليهِ بعد ثلاثة ايام فقمت وليست حالاً ونزلت فوجدت الجواري كلهنّ لابسات وولية هانم تلبس يشمكها لتذهب معنا ونافذ بك واقف امامها ينزع النقاب عن وجهها كلما وضعتهُ ويضحك ويمزح فمضيت الى الرواق ولما رآني ترك امرأة اخيهِ واتى اليّ عابساً واتكأ على درابزون الرواق ولم يكلمني فدرت لادخل البيت فقال الى اين انتِ ذاهبة لماذا تهربين مني

دائماً كاني من احط الناس ارجو ان تجتهدي وتحسني ظنكِ بي الى ان تري مني ما يريبك . فان ادهم بك غير معصوم ويجب ان لا تصدقي كل ما يقولهُ عني حتى يثبت لكِ صدقهُ

فاستغربت كلامهُ وقلت لهُ انهُ لم يخطر ببالي قط انك كما تصف نفسك ولا قال لي ادهم بك شيئاً عنك ولماذا يقول لي وما هو الداعي ليكلمني عنك

فقال ما هو الداعي . ألم يحذركِ مني

فقلت كلاَّ كلاَّ ولماذا يحذرني واي ضرر كنتَ تقصدلي

فتهلَّل وجههُ قليلاً ثم قال ان لم يكن قد حذَّركِ مني فلماذا اراك تتجنبينني . وكأنهُ رأى ان حمرة الخجل علت وجهي فتبسم واتكأ على الرواق وقال هل قلت لكِ ماذا ظننتكِ البارحة فقلت كلاَّ . فقال ظننتكِ ساحرة ويا حبذا لو كنتِ ساحرة فتسهلي عليَّ ما يحيق بي من المصاعب ولما قال العبارة الاخيرة عبس وجههُ ثم تبسم قليلاً وقال اراكِ ذاهبة مع الجواري الآن فلا تتعبي نفسكِ ولا ارى من العدل ذهابك معهنَّ لانك لست جارية

فتبسمتُ وقلت لهُ لماذا لا اتعب اتظن اني لو كنت باقية في قريتي كنت اجلس بلا عمل . فقال كلاَّ ولكن كنت تتزوجين وتشتغلين لنفسكِ وبيتكِ وربما كان ذلك افضل لكِ ولي

فتجاهلتُ معنى كلامهِ وقلت ان قريتنا جميلة جدًّا هل رأيتها قط . فقال لا اعلم . اين هي . قلت اسمها قش اغاج وهي تحت قوجه طاغ . فقال نعم كنت هناك ونمت ليلة في القرية لما كانت فرقتي في ايدين . فقلت لهُ متى كان ذلك فقال منذ سنتين نمت في بيت شيخ وهو معلم المدرسة هناك . فقلت هو الشيخ سليمان ولو عرف من انت واني عندكم لسرَّ بذلك كثيرًا يا حبذا لو امكنني ان اكتب اليهِ . فقال علامَ لا تكتبين اكتبي وانا ارسل المكتوب الى صديق لي في ايدين فيرسلهُ اليهِ . فتهلل وجهي وشكرتهُ على فضلهِ . فدار عني وقال يا حبذا لو كنت كما تظنين ووضع يدهُ على رأسي ثم رفعها وقال هوذا الجواري ولا بدَّ من ذهابكِ . فتركتهُ ومشيت معهنَّ وانا افكر بالشيخ سليمان ومقدار سرورهِ حينما يقرأ مكتوبي

وخرجنا بعد الظهر الى حديقة المصيف لنستنشق الهواء قبل رجوعنا الى المدينة وتقدَّمت اليَّ بوار وكلمتني بلطف قائلة ستترك المدينة قريباً ألا تريدين ان تمضي وتري حميدة قبل مجيئنا الى هنا . فقلت لها كيف لا اريد ولكن هل تسمح لي هانم افندي

فقالت لا شبهة في انها تسمح وانا استأذنها لكِ ولكن يجب ان تأخذيني معكِ ايضاً . فقلت لها حتماً والهانم لا تسمح لي بالذهاب وحدي . وقالت كنجه ألا يمكن ان يذهب اربع او خمس منا فانهُ مضى زمان طويل منذ خرجنا من البيت . فرمقتها بوار شزرًا وقالت كلاَّ فانكِ

الآن الخزندار ومن يهتم بالصناديق في غيابك وقالت شيستا اما انا فلا شغل لي خذيني معكِ يا امينة . فقالت بوار كلاَّ كلاَّ لان هانم افندي لا تريد ان نخرج كلنا من البيت معاً لئلاَّ يحسدها الناس . فقالت لها شيستا لا تغضبي ولا تنفري وان كان لكِ مقاصد خفية فما احد منا يصرفكِ عنها اذهبي وحدكِ مع السلامة. فقالت لها بوار اليكِ عن هذا الكلام الفارغ ان شئتِ ان تأتي معنا فتعالي فقالت شيستا كلاَّ لا اريد ومن لا يرى انك لا تريدين ان نذهب معكِ . فلم تجبها بوار بشيء بل سارت في طريقها وضحك الجواري والتفتت شيستا اليَّ وقالت الى اين هي ذاهبة . فقلت لها لا اعلم ولكنني اظنها ذاهبة الى بيت حميدة . فقالت مريم كلاَّ ولكنها ذاهبة الى الشيخ النجم لكي تكتب عندهُ حجاباً. فقلت لمن الحجاب ألها ام لي فقالت لها لكي يحبها نافذ بك. فقالت لها كنجه اصبتِ اصبتِ ولا شيء يبرد خلقها غير ذلك . وقالت لي شيستا أتعرفين منجماً . فقلت نعم . فقالت اين يسكن وهل اخبركِ عن بخنكِ فاخبرتها ما اعلمهُ عنهُ . وعادت بوار ونحن نتكلم ثم ابتَ ولية هانم وسمعتني اقص ما قالهُ لي الشيخ فقالت اظنهُ يعني ان واحداً يطلبكِ فترفضينهُ من هو هذا يا ترى ولماذا ترفضينهُ . فقالت مريم كيف ترفضهُ وهل الامر حسب ارادتها فان هانم افندي وحدها تحل وتربط في هذه المسألة . فقالت ولية هانم نعم واظن ان الامر تقرَّر الآن ولكن اظن ان امينة لا ترضى بهِ. فقالت بندزار كيف لا ترضى بهِ ويجب ان تشكر ربها لانها وجدت من يتزوجها. فقالت شيستا ان بندزار تتكلَّم عن نفسها بالله عليكِ يا ولية هانم قولي لهانم افندي ان تجد عريساً لبندزار . فاحمرَّ وجه بندزار ولم تتكلَّم وقالت ولية هانم كلكنَّ تطلبن هذا الطلب ولكن هانم افندي احكم من ان تفعل مرضاتكنَّ . ثم ما معنى كلام هذا الشيخ ان لم يكن كما فهمتهُ

فقالت كنجه ربما مرادهُ ان رجلاً عظيماً مثل نافذ بك يطلبها فترفضهُ. فذعرت بوار لما سمعت هذا الكلام وادرت انا وجهي لاخفي ما شعرت بهِ وضحكت كنجه وقالت انا امزح وقد حان الوقت لنذهب ولا بدَّ من الذهاب الآن لنلحق القارب . وكانت تنظر اليَّ ونحن راجعات لترى تأثير كلامها فيَّ ولكنها لم تقل لي شيئاً. ثم اتت الى غرفتي في المساء وقالت لي اتعلمين يا امينة ان ادهم بك تخاصم مع نافذ بك . فقلت لها لماذا تخاصما فقالت هذا شيء يسوءنا كلنا فانني انا كنت جارية ادهم بك قبلما تزوَّج ولذلك يتكلم امامي ولا يخفي عني شيئاً وامس اشتدَّ الخصام بينهُ وبين نافذ بك . فقلت لها ولكن على اي شيء اختصما . فقالت اظن انك ستتعبين يا امينة ولا ادري ما تقول هانم افندي . فقلت لها بالله عليكِ اخبريني السبب . فقالت اما عرفتِ السبب الآن ان كنتِ لم تعرفيهِ فانت بلهاء كيف يحبك رجل وانتِ لا

تعرفين ذلك . فان نافذ بك يريد ان يقترن بكِ هذا ما قالهُ لاخيهِ البارحة

فقلت " أيريد ان يقترن بي " . فقالت نعم يقترن بكِ والظاهر انهُ احبك من اول ما رآكِ وزاد حبهُ لكِ رويدًا رويدًا وقد قبَّلكِ مرةً في الحديقة ورآه ادهم بك ولامهُ لومًا شديدًا لانهُ ان كان لا يستطيع ان يقترن بكِ فليس من الشهامة ان يعاملكِ هذه المعاملة. والظاهر ان نافذ بك صوَّب رأي اخيهِ وحاول ان ينسالكِ فتعلَّق المقامرة

ولما قالت ذلك غطيت وجهي بيدي واتجلى لي معنى الكلام الذي سمعتهُ منها . ثم قلتُ لها ماذا قالوا البارحة فقالت لما اخبر نصر الله باشا ابنهُ ادهم بك عن ديون اخيهِ اشار ادهم بك الى قصتك من طرف خفي ملتمسًا عذرًا لاخيهِ . ثم لما تكلم نصر الله باشا مع نافذ بك قال كلمتين يفهم منهما ان القصة بلغتهُ فاغتاظ نافذ بك من اخيهِ وقال لهُ امس انهُ سيقترن بكِ وذلك خير من الاقتران بجارية

فقلت لها انهُ يمزح ولا بدَّ لان الامر ضرب من المحال . فقالت لا ادري فان نافذ بك لم يكن يمزح حينئذٍ وانتِ لا تعلمين عنادهُ اذا قاومهُ احد. وكان يجب على ادهم بك ان لا يشدِّد اللوم عليهِ كما فعل . وامس تكلم معهُ بلهجة كادت تشعلهُ واخيرًا قال لهُ نافذ بك اعلم اغابك[1] اني بذلت كل جهدي لكي أتجنب هذه المشاكل التي لا بدَّ منها اذا بقيتُ مصرًّا على عزمي وحاولت ان اترك هذه البلاد مطلقًا وكان يمكنني ان اتجنب هذه الفتاة اكرامًا لابي ولكني لا احتمل لومك كلما تكلمت معها كلمة . هذا علي بك يتكلم معها ساعة بعد ساعة ولا احد يقول لهُ كلمة . وحتى الآن لا اعلم انها تحبني ولكن ان كانت تحبني فانا اقترن وهذا ختام الكلام

فقلت لها وماذا قال ادهم بك . فقالت قال لهُ هل تدري مقدار الكرب الذي تسببهُ لها فان امي تركتك وشأنك ولكنها تنتقم منها وهي ابنة يتيمة لا ناصر لها ولا نجير. والرجل الذي يعرِّض ابنة مثلها لاشد انواع الانتقام ارضاءً لاهوائهِ يستحق ان يجلد حتى الموت وانا اجلدهُ بيدي ولو كان اخي. وهمَّ نافذ بك بالجواب ولكن دخلت وليَّة هانم حينئذٍ وافترقا. والآن اعلمي ياحبيبتي ان قول ادهم بك صدق كلهُ فان الهانم لا تقول كلمة لابنها ولكنها تصب غضبها ونقمتها على رأسكِ مدَّعية انك سحرتِ ابنها وحينما افكِّر في ما يمكن ان تفعل بك يقشعرّ بدني وانتِ لا تعرفينها كما اعرفها انا ولم تريها حتى الآن غضبي . ويمكن ان اقص عليك قصصًا عن افعالها تشيب رأسك . واقول لك بالاختصار انهُ لولا نصر الله باشا ما كان احد منا يبقى هنا بل كنا نهرب كلنا. اما مسألتك فلا اظن الباشا يتعرَّض لها فاقبلي نصيحتي وتجنبي نافذ بك على قدر طاقتك

(١) لقب الاخ الاكبر

فقلت لها سأفعل حسب مشورتك وأؤكد لكِ يا حبيبتي ان كل ما جرى لم يكن باختياري. فقالت نعم انا اعرف ذلك ولكن لا احد يبررك بل الجميع من هانم افندي فنازلاً يقولون انكِ اغريتهِ وفتنتهِ وحبذا لو انتهت الامور عند هذا الحد

فسألتها ماذا قال الباشا لما سمع هذه القصة . فقالت لا اعلم ولكن لاشبهة عندي في انهُ لا يوافق على اقتران نافذ بك بكِ . والآن لا بدَّ من ذهابي . وقامت لتذهب ثم قالت ترى هل سمعت بوار بهذه القصة. لكنها عادت فقالت حتماً لم تسمع ولو سمعتْ ما كانت تطلب منك لتمضي معها غداً كوني على حذرٍ منها فانها اكبر غدوٍ لك. ثم قبلتني وذهبت فقمت الى سريري وانا غائصة في بحار اليأس فاني كنت احب نافذ بك ولو لم يخطر ببالي قط انهُ يطلب الاقتران بي . وقد زاد اعجابي بهِ الآن حتى صرت اعبدهُ فقد كنتُ احسبهُ من اكرم الناس فصيرت اراهُ شهماً لا مثيل لهُ بين الرجال . وقلت ماذا فعلتُ لهُ حتى انكر نفسهُ لاجلي . ثم تقدمت الى حيث المرآة ورأيت وجهي وقلت اني لست اجمل من بوار ولكنهُ يحبني يحبني حتى يترك اباهُ وامهُ لاجلي . وهذا الفكر سرَّني ولكنني لم اغترَّ بهِ لانني كنت اعلم ان اقترانهُ بي ضرب من المحال ولا بدَّ من ان ابذل جهدي لاصرفهُ عن عزمهِ. وتذكرتُ حينئذٍ الوعد الذي وعدت جدتي بهِ وهو ان لا اخالف هانم افندي في شيء فقلت كيف اخالفها الآن واعصي امرها ولقد صدقت كنجه في انهم يحسبون الحق كلهُ عليَّ . ولما امعنت نظري في ما يمكن ان يجرَّ اليهِ امري ضاقت الدنيا في عيني فانطرحت على سريري وجعلت ابكي وانتحب وانادي جدتي واقول لها لماذا تركتني لماذا تركتني يا جدتي الحنونة . وللحال سمعت صوت الاذان فاصغت اليهِ وطلبت من الله ان يساعدني فسكن روعي قليلاً وقمت الى الشباك واتكأت عليهِ فرأيت علي بك ونافذ بك يمشيان في الممشى تحتهُ لان العادات التركية تقضي على الاولاد ان لا يدخنوا التبغ في حضرة والديهم فخرجا ليدخنا خارجاً وسمعتُ علي بك يقول لنافذ بك "لا يمكنك ان تقترن بامينة وارى ادهم بك مصيباً في ما قالهُ لك" . ولم اسمع جواب نافذ بك لانهما ابعدا عني في مشيهما ولكني سمعتهُ يقول حينما رجعا "لو تركني وشأني لكنت اجتهدت حتى اسلوها ولكنهُ جاءني بالتوبيخ والتقريع وجملني تبعة كل ما يمكن ان يحلَّ بها بسببي فارضاء لهُ اجتهدت ان اسلوها حالاً فكانت النتيجة انني صرت افتكر بها اضعاف ما كنت افتكر قبلاً "

ولما سمعت هذا الكلام اردت ان اقفل الشباك لكي لا اسمع اكثر فرأيتهما قد جلسا تحتهُ ولما وقع نظري عليهما سمعت واحداً يمشي آتياً نحوها واذا بهما قد طرحا السيكارتين من يديهما ونهضا واقفين . وكان هذا نصر الله باشا فقال لهما لماذا انتما هنا . ما الطف هذا النسيم

اسمع يا نافذ مات ابن يوسف باشا أتقدر ان تذهب غداً وتسير في جنازته فانا مشغول جداً وادهم لا يقدر ان يصل الى ايوب سلطان في الوقت لانهُ يتأخر في خروجهِ من المكتب

فقال نافذ بك نعم افندم اذا اردت

فقال نعم يا ولدي فان يوسف باشا صديق لنا ولا اريد ان يفتكر اننا نسيناهُ.

فاقفلت الشباك وانطرحت في سريري وحاولت ان انسى كل ما سمعتهُ

(ستأتي البقية)

معرض باريس العام

الباب الخامس عشر في سائر الصناعات

في هذا الباب تسعة فصول تختلف معروضاتها مما ثمنهُ مليمات قليلة الى ما ثمنهُ ملايين من الفرنكات كيف لا وقد عُرضت فيها اللعب والدُّمى واقلام الكتابة وعرضت ايضاً الساعات الثمينة والجواهر الكريمة وكل ما تتفنَّن الصاغة والجوهريون في صوغهِ وترصيعهِ

الفصل الاول منها في صنائع الورَّاق والكتَّاب . وقد يُظنُّ لاول وهلة ان هذا الفصل ضيق النطاق لان صناعة القلم من اضيق المعايش لكن الامر عند الاوربيين على غير ما هو عند الشرقيين . وقد كانت صناعة الوراقة والكتابة في بلاد المشرق قبلما عرفت الامم الشمالية شيئاً عنهما لكن بلغ تقدمهما عندنا حدَّهُ منذ نحو سبع مئة سنة ثم لم يزد عليهِ واما عندهم فبلغتا مبلغاً يفوق ما يتصوَّرهُ اهالي المشرق ولا غرابة في ذلك فان من عمرت دواوينهم بارباب الاقلام واتسعت متاجرهم حتى عمَّت الخافقين وبسم لهم وجه الزمان مئات من الاعوام وكاشفتهم الطبيعة باسرارها وساعدتهم العناية على كبح جماح الظالمين من ملوكهم وتقييدهم بقيود الدستور والشورى لحريُّون بان ترتقي الصناعات في يدهم وتبلغ اوج مجدها

ولقد ادرك الاوربيون حقيقةً طبيعية يجري عليها كل مخلوق حتى الجماد ولا يخالفها الاَّ كتَّابنا وهي اختيار اسهل السبل واقلها مقاومةً . فترى الماء يجري في طريقهِ حتى يجد ما يعيقهُ فيقف ويختار طريقاً آخر يسهل عليهِ الجري فيهِ. والريح تهب حتى اذا وجدت جداراً قائماً في طريقها حادت عنهُ وكذا عقل الانسان فانهُ ينبو عما يغتاص عليهِ ويرتاح الى ما يستسهلهُ لكنَّ كتَّابنا حفظهم الله لم يكتفوا باختيار كل غريب شارد من الالفاظ بل زادوا الطين بلةً ان عقدوا الحروف والكلمات في الكتابة والطبع حتى تجد العين اكبر مشقة في قراءة ما ترى كما يجد